

وجوه أقرب للنهر

مراد السوداني

المشهد الثقافي في فلسطين بدأ مثل بحيرة شقافة وهادئة وهو يغادر من «متردّم» القرن المنصرم، قبل خمس سنوات، تقريباً، إلى قرن أشدّ إيلاماً وقسوة، ثمّة إشارات كانت تنبئ بولادات جديدة، ربما، سهيل يختبئ في شقوق المكان.. الشعر كان أوفر نشرًا من الأنواع الأدبية الأخرى، وبإصدار (ضيوف النار الدائمون / بيت الشعر)، انقذت الشرارة في أتون الساحة الثقافية المحلية والعربية.. وتواصلت التجربة رغم حوارية «الجبذ والنبذ» لتخرج بوعي من «شرك الفنائيات».. أما الرواية فقدّم الجيل الجديد نماذج التي تستحقّ الدرس والنقد والتحليل لما تضمّنته من تميّز في الرؤيا والأسلوب وزوايا نظر مفارقة على صعيد الرواية الفلسطينية الشابة.

في الأفق ذاته نلمح تصاعد خطّ القصة القصيرة والتي ما كان لها أن تظهر لولا اتساع دائرة الجدل الثقافي ومتابعة الإبداعات الجديدة بعيداً عن الوصاية.. ولم تكن السينما أقلّ حظاً، إذ شاهدنا، مؤخراً، ما قدّمته السينما الشابة، بعين مدربة وذائقة تقترح الجديد والحقيقي.

وبالنسبة للتشكيل فقد أظهرت مسابقة «فنان العام 2001» وجود عدد لافت زاد على «46» فناناً وفنانة، تقدّموا للمشاركة، في غياب الرعاية والدعم والمتابعة، وغياب المؤسسة التشكيلية الفلسطينية.. أما المستوى النقدي الشاب فقد أبرز كتابات جديرة بالوقوف حيالها، وما كتبه عبد الرحيم الشيخ وعلاء الدين كاتبة وعاطف أبو سيف، إلّا مثلاً يمكن الاستشهاد به.

الأصوات الجديدة هنا «وبعضها مأخوذ برقاب بعض»، وبكثير من الصبر استطاعت أن تحفر ممراتها الجديدة في خارطة الإبداع الفلسطيني «في مورد كتابي كثير الزحام»، وتمكّنت، عبر سيّالاتها المتدفقة والجريئة أن تؤسس لزاوية نظر مختلفة تغاير الأساليب المنمّطة والإجابات المستقرّة، إذ كانت أقرب للنهر بصيرورتها منها إلى الرخام، تمضي بأسئلتها مدارج التأمل، متجاوزة السائد والعاوي والجاهن. للأصوات الجديدة أكثر من حقّ إبداعي و«وطني» في أن يفتح لها أكثر من أفق وأن يكون أكثر من ذراع.. لهذه الأصوات وغيرها تفتح (أقواس) «أوتارها» تجاه بلادنا التي تنتظر أقواس نصرها.